وجه رئيس إقليم كردستان مسعود بارزاني أول من أمس الثلاثاء انتقادات لاذعة لحكومة رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي، بشأن عدة ملفات تخص الإقليم والعراق عموما، مشددا في الوقت نفسه على أن الوقت قد حان لوضع حد لتفرد ثلة من الأشخاص بالقرار السياسي في بغداد.
وقال بارزاني في كلمة بثها تلفزيون (كردستان تي.في) التابع لحزبه الديمقراطي الكردستاني عشية عيد نوروز إنه "حان الوقت الذي نقول فيه كفى، لأن العراق يتجه نحو الهاوية، وان فئة قليلة على وشك جرّ العراق باتجاه الدكتاتورية".

□ بغداد / المدى

بارزاني: حان الوقت لنقول كفى.. والعراق يتجه نحو هاوية الدكتاتورية

وأضاف بعد أن وجه التهنئة لمواطني الإقليم بمناسبة أعياد نوروز والسنة الكردية الجديدة، أن "العراق يشهد أزمة جدية، وإن دوام وضع كهذا غير مقبول بالنسبة لنا على الإطلاق."
ودعا بارزاني جميع قيادات الأحزاب والأطراف السياسية العراقية إلى "تدارك الوضع والجلوس معاً في وقت عاجل، وذلك لوضع الآليات والإسراع في إيجاد حلٍ لهذا الوضع ومعالجته في فترة قصيرة جداً".
وتابع رئيس الإقليم يقول "وإلاّ فإننا سنلجأ إلى شعبنا، وآنذاك سيتخذ شعبنا قراره النهائي، وهذا كي لا تلقوا علينا باللائمة بعد الآن"، في إشارة على ما يبدو للانفصال عن العراق وإعلان الدولة الكردية. وقال إن "خلافنا ينصب أولا على شراكة الكرد والعرب في السلطة مع تقدير وشراكة المكونات الأخرى، فالشراكة الآن لم تعد لها أية معنى، وثانيا الالتزام بالدستور، حيث يتم خرق الدستور باستمرار، إلى جانب إهمال وعدم تنفيذ اتفاقات أربيل من الأساس."
وأضاف "إنهم نسوا الدستور والشراكة بمجرد وصولهم إلى الحكم، نسوا أن هذا الأمر وثيق الصلة بمصير العراق وجميع العراقيين وليس متعلقا بمصير إقليم كردستان فحسب."
وبشأن الملفات العالقة بين بغداد وأربيل، قال رئيس الإقليم "أبدينا من جانبنا أعلى درجات المرونة، وأبدينا حسن النية حينما أردنا معالجة الأمر عن طريق الاحتكام إلى الدستور، كنا نتصور أن الآخرين يحترمون العهود وتواقيعهم".
وأضاف أن "الدستور وضع آلية الحل لمعالجة هذه المشاكل، فلا بأس لو تمت معالجة الأمر وفقاً للدستور أو أن يُعالج الآن، ولكن من غير الممكن أن نتخلى عن هذا الأمر، لأن هذه المسألة تشكل بالنسبة إلينا مسألة تَفوق المبدئية".
وبالنسبة لملف البيشمركة، قال بارزاني إن "الكل يدرك ما الدور الذي أداه البيشمركة على مستوى عموم العراق، ولكن الآن ينظرون الى البيشمركة نظرة العدو، وإنهم في السنوات الخمس والست الماضية نهبوا حتى الميزانية المخصصة للبيشمركة ولا يسمحون بإرسالها إلى كردستان. والأسوأ من ذلك، أن هذه الثلة تنتظر حصولها على الطائرات المقاتلة من طراز اف١٦ كي تجرب حظها مجددا مع البيشمركة. إنهم بهذه العقلية يحكمون العراق".
وبشأن مسألة النفط والغاز، قال رئيس الإقليم "اتفقنا في شهر شباط من عام ٢٠٠٧ على مشروع قانون للنفط والغاز كي يُحال إلى مجلس النواب، وكان ينص على انه في حال عدم تمريره لغاية الشهر الخامس من ذلك العام، فيحق آنذاك للإقليم والحكومة الاتحادية إبرام العقود".
وأضاف "ليس لدينا أي خلاف وفقاً للدستور، لأن النفط والغاز هما ملك للعراق، وإن وارداتهما هي لجميع العراقيين، فلماذا إذاً لا يحيلون القانون إلى مجلس النواب؟. مع ذلك إنهم في بغداد يصيبهم الجنون في حال قدوم أي شركة لإبرام العقود مع الإقليم، لأنهم يدركون أن ما نقوم به هو عمل دستوري. فالمشكلة لا تكمن في دستورية أو عدم دستورية هذه العقود، بل المسألة أنهم لا يحتملون حصول أي تطور في كردستان ويقفون بالضد من أي تقدم يحصل فيها، على الرغم من أن تلك العقود فيها خيرٌ لجميع العراقيين، ونحن ملتزمون بأن هذه الإيرادات هي لجميع العراقيين، مع ذلك لا يسمحون بقدوم أي شركة إلى هنا، ناهيك عن التهديد الذي يوجهونه لتلك الشركات وممارسة الضغوط عليها بشتى الوسائل."
ولفت إلى أن "النقطة الأخرى متعلقة بتشكيل جيش مليوني يكون ولاؤه لشخص واحد، فمتى حصل وفي أي بقعة من العالم يوجد هناك شخص يجمع في يديه مناصب مثل القائد العام للقوات المسلحة و وزير الدفاع و وزير الداخلية، ورئيس المخابرات و رئيس مجلس الأمن القومي؟!، وبالأمس تم إرسال رسالة إلى البنك المركزي كي يكون مرتبطا به أيضا!، ما الذي بقي للآخرين يا ترى؟".
وقال بارزاني "إذا يتصور البعض أن الشيعة راضون بهذا الوضع، فإن الشيعة هم مهمشون من قبل السنة والكرد"، مضيفا "نؤكد الالتزام بتحالفنا مع إخوتنا الشيعة، ولكن ليس مع هذه الفئة التي احتكرت كل مفاصل السلطة ولا تحسب للآخرين أي حساب، وإنني متأكد أن الشيعة هم غير راضين بهذا الوضع قبل الكرد والسنة."
وبالنسبة لوضع إقليم كردستان الداخلي، قال "إننا نمر في مرحلة حساسة وستستلم الوزارة الجديدة لحكومة الإقليم مهامها في هذه الأيام، وكنت أتمنى أن تشارك فيها القوى الكردستانية كافة بما فيها المعارضة أيضا، ولكن يبدو أن الإخوة في المعارضة قد قرروا عدم المشاركة."
وأضاف "مع ذلك نتمنى أن يكونوا كمرآة لحكومة الإقليم لإظهار النواقص ومكامن الخلل فيها، من أجل القضاء على الفساد ومعالجة أوجه الخلل والدفع بمستوى تجربتنا نحو آفاق أكثر تطورا يوما بعد يوم."
وتابع يقول "من الطبيعي أن تكون لنا آراء ووجهات نظر مختلفة، ولكن يجب أن نجتمع جميعا ونتوحد تحت مظلة الكورديايتي (الحركة القومية الكردية)، وخصوصا اليوم حين نرى أن كردستان تتعرض مجددا لمخططات وهجمات غير مشروعة من قبل المتربصين، وتنتاب الكثير منهم أضغاث أحلام لإحداث الثغرات في صفوف القوى الكردستانية، ولكن الكرد موحدون حينما تكون هناك مخاطر تهدد أمن الإقليم ومستقبل الكرد وكردستان.
وشكلت الاتهامات غير المسبوقة التي ساقها رئيس إقليم كردستان مسعود بارزاني أمس ضد المالكي دليلا على عمق الأزمة السياسية التي تضرب البلاد وتفاقمها وخاصة بين ائتلافي المالكي وعلاوي على خلفية عدم تنفيذ رئيس الوزراء لاتفاقات أربيل التي أفرزت الحكومة الحالية.
ويشير مراقبون لهذه الأزمة إلى أن هذه الاتهامات جاءت في وقت دقيق حيث يسعى المالكي إلى تحقيق انتصار شخصي باحتضان القمة العربية التي ستعقد في بغداد في ٢٩ من الشهر الحالي.
وأشاروا إلى انه بعد تأكيد علاوي أمس تقديم مذكرة إلى القمة يشكو فيها التدخل الإيراني في شؤون البلاد وتصاعد الاعتقالات والسجون السرية ورفض تنفيذ اتفاقات أربيل تأتي تصريحات بارزاني هذه لتعمق من الأزمة السياسية وتوسع مدياتها وتضع المالكي في موقف حرج قبل ترؤسه لوفد بلاده في القمة.
وأكدوا أن انتقادات بارزاني هذه تشير أيضا إلى تصاعد التوتر بين الحكومة المركزية في بغداد وسلطات إقليم كردستان. وأوضحوا أن هجوم بارزاني هذا يأتي تتويجا لسلسلة انتقادات وجهها للمالكي خلال الأسابيع الأخيرة وسط خلافات بشأن النفط والأرض وأموال الميزانية وتقاسم السلطة في بغداد.
من جانبه وجه رئيس الوزراء نوري المالكي تهنئة إلى الشعب الكردي لمناسبة أعيادهم في نوروز داعيا العراقيين إلى التمسك بالهوية الوطنية الجامعة التي يتساوى أمامها العراقيون بكل قومياتهم وأديانهم وطوائفهم.
وقال المالكي في بيان صحافي تلقت (المدى) نسخة منه "أتقدم بأحر التهاني وأطيب التمنيات لشعبنا الكردي الذي قدم التضحيات إلى جانب إخوانه من أبناء شعبنا العراقي الكريم عموما للخلاص من الدكتاتورية والاستبداد وسلب الحريات."
وأضاف "إنني إذ أبارك لأبناء شعبنا الكردي وجميع الشعوب التي تحتفل بهذا اليوم الذي يشكل تحولا في عالم الطبيعة واعتدال المناخ، فإنني أدعو الجميع إلى الوحدة والتكاتف والتمسك بالهوية الوطنية الجامعة التي يتساوى أمامها العراقيون بكل قومياتهم وأديانهم وطوائفهم. وسيبقى العراق مثالا يحتذى بوحدته الوطنية والعيش المشترك والحياة الكريمة لكل أبنائه دون تمييز".
ويشكل النواب الكرد نحو خمس البرلمان العراقي ويشغل الائتلاف الكردي المكون من حزبين خمس حقائب وزارية في الحكومة العراقية.

مواقف القوى السياسية

لكن ائتلاف دولة القانون بزعامة المالكي اعتبر اتهامات بارزاني محاولة واضحة لإعاقة عقد القمة العربية في بغداد. وقال النائب عن الائتلاف عدنان الشحماني إن تصريحات بارزاني أتت في وقت غير مناسب إذ إنها رافقت سلسلة التفجيرات الأخيرة التي حصلت في بغداد وعدد من المحافظات. وأضاف في تصريح صحافي تلقت (المدى) نسخة منه ان الخلافات القائمة بين الفئة التي هي الآن في السلطة في بغداد وبين الإقليم هي على كركوك والمناطق المتنازع عليها.
ومن جانبه عبر النائب عن القائمة العراقية حامد المطلك عن تأييده لاتهامات بارزاني للمالكي وخاصة انتقاده "أساليب التفرد بإدارة السلطة في العراق". وقال في تصريحات وزعها على الصحافيين إن التفرد بالقرار على حساب الآخرين أمر لا يمكن قبوله لذا من حق الآخرين أن ينتقدوا هذه السياسة التي تنتهجها الأحزاب الحاكمة. وقال "نحن نحترم وجهة نظر بارزاني بانتقاده الأساليب التفردية في إدارة السلطة في العراق وخصوصا ما يتعلق بالتفرد في الأجهزة والوزارات الأمنية."
وأشار إلى أن المرحلة الماضية أثبتت أن لا وجود لشراكة في إدارة الدولة على الرغم من حاجتنا الماسة إلى تطبيق الشراكة الوطنية والمساواة بين العراقيين على قدم المساواة بعضهم مع البعض. وأضاف إن الأيام المقبلة ستكشف عن تحول في خارطة التحالفات السياسية التي ستعيد التوازن في الساحة السياسية في إشارة إلى تقارير عن احتمال إعلان تحالف بين القائمة العراقية بزعامة رئيس الوزراء الأسبق إياد علاوي والتحالف الكردستاني.
ودعا المالكيّ إلى ضرورة الانتباه إلى مساوئ ما يذهب إليه من التفرد في تشكيل الجيش وجعل هذه المؤسسة تابعة له من دون الأخذ بنظر الاعتبار التوازن الاجتماعي في أجهزة الدولة التنفيذية والجيش والشرطة وباقي الأجهزة الأمنية.

نص خطاب الرئيس مسعود بارزاني لمناسبة حلول عيد نوروز

بسم الله الرحمن الرحيم
أيتها الأخوات العزيزات وأيها الإخوة الأعزاء:
أيها الكردستانيون الأعزاء في كردستان والمهجر، من صميم قلبي أبارك لكم حلول عيدنا القومي نوروز.
قبل أكثر من ٢٥٠٠ عام انتفض الكرد ورفضوا الدكتاتورية، ومنذ ذلك الحين وإلى اليوم والكرد يواصلون الكفاح والمقاومة من أجل الحرية والتحرر، وهذا بحد ذاته يحمل دلالات ومعاني كثيرة، إنه يعني أننا أمة حية ولا نقبل الذل والعبودية من أحد، إننا أمة يجب أن نتحرر ونعيش بحرية، وهذا درس بليغ لنا وللآخرين أيضا.
أيتها الأخوات والأخوة :
كثير من الأشخاص كانوا يتصلون ويطلبون منا كي نعلن اليوم بشرى كبيرة لشعب كردستان، لذا إننا نطمئنكم بأن ذلك اليوم قادم إنشاء الله سبحانه كي تُعلَن فيه تلك البشرى، لكنها يجب أن تكون في وقت مناسب، ولكن كونوا مطمئنين بأن البشرى آتية لا محالة.
أيتها السيدات وأيها السادة:
إننا نمر في مرحلة حساسة وستستلم الوزارة الجديدة لحكومة الإقليم مهامها في هذه الأيام، وكنت أتمنى أن تشارك فيها القوى الكردستانية كافة بما فيها المعارضة أيضا، ولكن يبدو أن الإخوة في المعارضة قد قرروا عدم المشاركة، مع ذلك نتمنى أن يكونوا كمرآة لحكومة الإقليم لإظهار النواقص ومكامن الخلل فيها، من أجل القضاء على الفساد ومعالجة أوجه الخلل والدفع بمستوى تجربتنا نحوى آفاق أكثر تطورا يوما بعد يوم. وقلنا مراراً إننا كأحزاب وأطراف؛ من الطبيعي أن تكون لنا آراء ووجهات نظر مختلفة، ولكن يجب أن نجتمع جميعا ونتوحد تحت مظلة الكورديايتي (الحركة القومية الكردية)، وخصوصا اليوم حين نرى أن كردستان تتعرض مجددا لمخططات وهجمات غير مشروعة من قبل المتربصين، وتنتاب الكثير منهم أضغاث أحلام لإحداث الثغرات في صفوف القوى الكردستانية، ولكن الكرد موحدون حينما يكون هناك مخاطر تهدد أمن الإقليم ومستقبل الكرد وكردستان، وللأسف الشديد وأقوله بكل مرارة؛ ظهرت هنالك ثلة قليلة من الناس يديرون ظهورهم للعشرة وينسونها، لأنهم نسوا ما قدمه الكرد لهم، إنَ دور الكرد لهو دور واضح وجليّ، وإن كردستان كانت ملاذا للمضطهدين والمظلومين، والقلة التي تفرض اليوم نفسها عنوة في بغداد، كانت قد لجأت إلى كردستان، وحينها فتحت كردستان أبوابها لهؤلاء.
العراق، في هذه الأيام يشهد أزمة جدية، وعندما نقول أزمة جدية، فإننا ندرك ما نقول وما نعنيه، وإننا سعينا دائماً كي نخدم إخوتنا العرب والتركمان والآشوريين والكلدان في عموم العراق؛ كسعينا لخدمة كردستان، لأننا نريد خدمة العراق عموماً.
وبعد إسقاط النظام الدكتاتوري عام ٢٠٠٣ ، حاولنا جهد الإمكان أن تستفيد مناطق العراق الأخرى من تجربة كردستان، لكنهم للأسف لم يستفيدوا من تجربتنا. إننا بذلنا بما في وسعنا للحيلولة دون نشوب صراعات طائفية ومذهبية؛ وقلنا ونقوله أيضا: إننا لن نكون جزءا من هذا الصراع، ونشعر بمرارة حينما يُقتل أحد أبناء العراق سواء في البصرة أو أربيل أو بغداد والنجف أو في أية مدينة عراقية أخرى، لأنهم أهلنا وذوونا وأحبتنا. لكن الكل يدري أن الكرد كان لهم دور رئيسي في إسقاط النظام وبناء العراق الجديد، وخاصة في تأسيس الحكومة الحالية والتي تشكلت قبل سنتين بناء على اتفاقية أربيل، فمن دون دور الكرد لتعرض العراق إلى مهالك. وللأسف ظهرت الآن ثلة قليلة من الأشخاص احتكرت مفاصل السلطة كافة وتبث إرهاباً فكرياً، حيث من غير الممكن أن ينتقدهم أحد أو يعبر عن رأيه وإلاّ أصابهم الهياج وبدأوا يتهجمون بلا هوادة.
واليوم قد آن الأوان لتوضيح الحقائق لشعب كردستان والعراقيين عموماً، كي يعرفوا الخلاف الذي بيننا.
إن خِلافنا ينصب على:
أولا: شراكة الكرد والعرب في السلطة (أي عرب الشيعة وعرب السنة) مع تقدير وشراكة المكونات الأخرى، فالشراكة الآن لم يعد لها أية معنى.
ثانيا: الالتزام بالدستور؛ حيث يتم خرق الدستور باستمرار، إلى جانب إهمال وعدم تنفيذ اتفاقات أربيل من الأساس. وإنهم نسوا الدستور والشراكة بمجرد وصولهم إلى الحكم، نسوا أن هذا الأمر وثيق الصلة بمصير العراق وجميع العراقيين وليس متعلقا بمصير إقليم كردستان فحسب.
ولنأت إلى الخلافات القائمة بين الفئة التي هي الآن في السلطة ببغداد وبين الإقليم:
١. الخلافات هي على كركوك والمناطق المتنازع عليها، حيث إنهم يتهربون منها دائماً، في حين أبدينا من جانبنا أعلى درجات المرونة، وإنني أتوجه بالشكر إليكم يا جماهير شعب كردستان، لأنكم تحملتم الكثير، وبلغ تحملكم هذا إلى الحد الذي قد تشُكّون في أننا لم نبذل من الجهد بشكل جدّي وبما فيه الكفاية، أو أننا كنا مقصرين في أدائنا، لكننا بذلنا الجهود ولم نكن مقصرين، إننا أبدينا نية حسنة حينما أردنا معالجة الأمر عن طريق الاحتكام إلى الدستور، كنا نتصور أن الآخرين يحترمون العهود وتوقيعاتهم، لأن الدستور وضع آلية الحل لمعالجة هذه المشاكل، فلا بأس لو تمت معالجة الأمر وفقاً للدستور أو أن يُعالج كذلك الآن، ولكن من غير الممكن أن نتخلى عن هذا الأمر، لأن هذه المسألة تشكل بالنسبة لنا مسألة تَفوق المبدئية.
٢. مسألة البيشمركة، الكل يدرك ما الدور الذي أداه البيشمركة على مستوى عموم العراق، ولكن الآن ينظرون إلى البيشمركة نظرة العدو، وإنهم في السنوات الخمس والست الماضية نهبوا حتى الميزانية المخصصة للبيشمركة ولا يسمحون بإرسالها إلى كردستان. والأسوأ من ذلك؛ إن هذه الثلة تنتظر حصولها على الطائرات المقاتلة من طراز اف١٦ كي تجرب حظها مجددا مع البيشمركة. إنهم بهذه العقلية يحكمون العراق!.
٣. مسألة النفط والغاز، إننا اتفقنا في شهر شباط من عام ٢٠٠٧ على مشروع قانون للنفط والغاز كي يُحال إلى مجلس النواب، وكان ينص على انه في حال عدم تمريره إلى الشهر الخامس من ذلك العام، فيحق آنذاك للإقليم والحكومة الإتحادية إمضاء العقود، فليس لدينا أي خلاف وفقاً للدستور، لأن النفط والغاز هما ملك للعراق، وإن وارداتهما هي لجميع العراقيين، فلماذا إذاً لا يحيلون القانون إلى مجلس النواب؟. مع ذلك إنهم في بغداد يصيبهم الجنون في حال قدوم أي شركة لإبرام العقود مع الإقليم، لأنهم يدركون أن ما نقوم به هو عمل دستوري. فالمشكلة لا تكمن في دستورية أو عدم دستورية هذه العقود، بل المسألة إنهم لا يحتملون حصول أي تطور في كردستان ويقفون بالضد من أي تقدم يحصل فيها، على الرغم من أن تلك العقود فيها خيرٌ لجميع العراقيين، ونحن ملتزمون بأن هذه الإيرادات هي لجميع العراقيين، مع ذلك لا يسمحون بقدوم أي شركة إلى هنا، ناهيك عن التهديد الذي يوجهونه لتلك الشركات وممارسة الضغوط عليها بشتى الوسائل.
٤. والنقطة الأخرى متعلقة بتشكيل جيش مليوني يكون ولاؤه لشخص واحد، فمتى حصل وفي أي بقعة من العالم يوجد هناك شخص يجمع في يديه مناصب مثل القائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع ووزير الداخلية، ورئيس المخابرات ورئيس مجلس الأمن القومي؟!، وبالأمس تم إرسال رسالة إلى البنك المركزي كي يكون مرتبطا به أيضاً!، مالذي بقي للآخرين يا ترى؟، وإذا يتصور البعض أن الشيعة راضون بهذا الوضع، فإن الشيعة هم مهمشون قبل السنة والكرد. والأمر الذي يبعث على الأسى هو أن هذه الفئة تريد أن تُظهر للملأ أن الكرد هم الذين غيروا موقفهم إزاء الشيعة أو غيروا حليفهم!، لكن الشيعة الذين نعرفهم هم من أتباع ومناصري الحكيم والصدر، وإنهم الذين وقفوا دائما إلى جانب الكرد وساندوهم، وإن الكرد بدورهم وقفوا إلى جانبهم وساندوهم، وسنبقى دائما إلى جانب بعضنا البعض ومساندين بعضنا البعض ومتخندقين معاً أيضا. أما الذين يدّعون أنهم المدافعون عن حقوق الشيعة، فالدفاع لا يكون عن طريق تهميش التحالف الشيعي، ولا يكون عن طريق خلق أعداء جدد للشيعة. أو أن لا يحسبوا للآخرين في العراق أيّ حساب. فنحن نقول إن العراق لجميعنا؛ كردا وشيعة وسنة وتركمانا وآشوريين وكلدانا، العراق لجميع العراقيين وكل بحسب حجمه وموقعه. وإنهم يخدمون الشيعة من خلال تقديمهم الخدمات للشيعة ويحققون الأمن والاستقرار للشعب العراقي. ولكن مالذي فعلتموه للعراق؟ تفضلوا؛ فلنضع الحسابات بأجمعها على الطاولة!.
إننا نؤكد الالتزام بتحالفنا مع إخوتنا الشيعة، ولكن ليس مع هذه الفئة التي احتكرت كل مفاصل السلطة ولا تحسب للآخرين أي حساب، وإنني متأكد أن الشيعة هم غير راضين بهذا الوضع قبل الكرد والسنة.
أيتها الأخوات وأيها الإخوة :
لقد حان الوقت الذي نقول فيه كفى، لأن العراق يتجه نحو الهاوية، وإن فئة قليلة على وشك جرّ العراق باتجاه الدكتاتورية، فالعراق يشهد أزمة جدية، وإن دوام وضع كهذا غير مقبول بالنسبة إلينا على الإطلاق، ولهذا أدعو: جميع قيادات الأحزاب والأطراف السياسية العراقية إلى مداركة الوضع والجلوس معاً في وقت عاجل؛ وذلك لوضع الآليات والإسراع في إيجاد حلٍ لهذا الوضع ومعالجته في فترة قصيرة جداً، وإلاّ فإننا سنلجأ إلى شعبنا، وآنذاك سيتخذ شعبنا قراره النهائي، وهذا كي لا تلقوا علينا باللائمة بعد الآن.
وفي الختام؛ نبعث بتحايانا إلى أرواح شهداء عموم العراق، شهداء الكرد وكردستان، وجميع شهداء سبيل التحرر في العالم أجمع.
مرة أخرى مبارك عليكم عيد نوروز وأشكركم جزيل الشكر.

عالم آخر

جندنا المنهكون

■ سرمد الطائي

كنت أود اليوم أن أتحدث عن خطاب رئيس إقليم كردستان مسعود بارزاني، لا لكي أعارض أو أؤيد، بل كي أسجل وصفا مختصرا، لأنه استجمع اعتراضات عمرها ٦ أعوام جرى تسجيلها على أداء رئيس الحكومة نوري المالكي، عبر مواقف عمار الحكيم وفريقه البارز، ومقتدى الصدر وتياره، إلى جانب أحمد الجلبي وغيره من رموز التحالف الشيعي، في موازاة كل الاعتراضات التي يسجلها التحالف الكردستاني وأطراف القائمة العراقية. أي أننا أمام "إعلان نوروز" الذي يلخص تجربة قادة العملية السياسية مع رئيس حكومتنا طيلة ولاية ونصف من الوزارتين الائتلافيتين بين ٢٠٠٦ و٢٠١٢ وعشية القمة العربية في بغداد.
لكنني اشعر اليوم بحرج حقيقي من حالة أخرى وجدتها بين عساكرنا وطريقة رؤيتهم لأداء الحكومة. فقد فضلنا أن ننهمك في عطلة النوروز "بالمشي على الأقدام" إذ لا خيار آخر عدا هذا، ومررنا بأكثر من ٢٠ سيطرة قرب النهر وعبر الجسر وعلى الكورنيشات وفي شوارع "موحشة" خالية من الناس تقريبا، فهذه صورة بغداد قبل ٩ أيام من قمة العرب.
وتقصدت مع الأصدقاء أن ندردش مع الجند في كل تلك السيطرات بشأن الإجراءات الأمنية القاتلة التي جمدت الحياة، ولم تكن مصادفة أن العساكر كانوا مثل الشعب، "زهقانين" من حديث القمة وما يحيط بها من مخاوف أمنية، والانكى أنهم زهقانين من إدارة الحكومة لهذا الأزمة، فالدولة لم تنجح في إقناعهم بأن هناك واجبا يستحق منهم كل هذا الإنهاك.
جندي يتمتع بظرافة واضحة راح يسخر بشدة من نفسه ومن الحكومة ومن الشعب ومن قرارات عاهلنا وعاهلهم: "شنو موازينا، وشنو جابرنا على استضافة قمة في بغداد التي ليست مستعدة أبدا لاستقبال حدث من هذا النوع؟". هذا يعني انه إضافة إلى الشعب، فإن معظم الـ١٠٠ ألف عنصر امني المنتشرين في بغداد، غير مقتنعين بأن انعقاد القمة في هذه الظروف يستحق إيقاف الحياة بهذه الطريقة. راح الجندي يسأل: طيب لماذا في بغداد المزدحمة اساسا بكل المشاكل، لماذا لم يكن لدينا "شرم شيخ" خارج العاصمة ليجتمع فيه الناس؟
أما في نقطة التفتيش الاخرى فواجهنا سخطا اكبر. يقول جندي شاب انه لم ير عائلته منذ اسبوعين، ولن يراها قبل اسبوعين، فالجميع في انذار يبقون ساعات طويلة مرابطين لحراسة مختلف المواقع. ظل الجندي يتحدث لنا عن عدم قناعته بفائدة هذه الاجراءات: لقد امطرنا المسلحون باثني عشر صاروخا خلال احتفالنا بعيد الجيش الاخير، فكم صاروخا في وسع الارهابيين ان يطلقوا على اماكن انعقاد القمة؟
الموضوع لا يتعلق بنقاط التفتيش، ولن تكون هناك جدوى الا اذا كان لدينا استخبارات حقيقية. الجندي هذا لم يكن يشعر بأن هناك معلومات استخبارية محددة تعينه على تحريك زناده بالطريقة الصحيحة، رغم انه تحت امرة القائد العام للقوات المسلحة، اكثر من ١٠ اجهزة معلومات انفقت عليها بغداد وواشنطن المليارات طيلة ٩ أعوام.
والامر لم يقتصر على الجند. اذ في مكان ما من بغداد لمحنا مئات الرجال وهم يرتدون بدلات رسمية بلا ربطة عنق ويتجمهرون على غير هدى في احدى الحدائق. ومن سحناتهم ولهجاتهم كان واضحا انهم قادمون من مدن متباعدة وينتظرون احدا يهرع لاستضافتهم. سألت احدهم اثناء ارتشاف شاي: هل انتم في نزهة خلال هذا التوقيت الصعب؟ نظر إلي ساخرا وقال: نحن استخبارات تابعة لوزارة كذا، جاءوا بنا الى بغداد لنشارك في حماية القمة. جئنا من كل المحافظات، وسننتشر بملابس مدنية في شوارع لا نعرفها، وضمن اجراءات صعبة وغير مفهومة. علينا ان نضبط حركة حياة مشلولة بالاساس.
الحكومات يجري اختبارها اثناء الازمات. وطريقة ادارة ازمة انعقاد القمة تجعلنا نفقد الثقة كثيرا، فكل الكبائر والصغائر التي مرت علينا وسيول الدماء التي سالت، لم تتح للحكومة خبرة ودراية كافيتين للتعامل مع الاحداث المهمة. الاخطاء تتكرر، والامكانات لا يجري استغلالها بطريقة كافية. والانكى ان الجند وعناصر الامن منهكون، ومن المؤسف انهم غير مقتنعين بما يجري. من اقنع السلطان بهذه الخطط يا ترى؟ لماذا حولوا بغداد الى شيء بمثابة مدينة ضربها وباء وبيل؟